رواية

شيطان من طين

تأليف

هبة جمال أسعد

الإهداء

أرغبُ أن أهدي مَن أحب شعوراً لا رواية.

هذه الرواية هي الجزء الثاني من رواية بعيداً عن النسيان.

الموضوع أكبر من أن يكون اسمٌ على الغلاف، إنها مشاعر سُكبت على الورق، جزء من حياة الكاتب عاشه بشكل حقيقي مع شخصيات وهمية، لم نكن نحنُ من كتبنا لأنفسنا العذاب، إنه الطموح، يحتلنا، يقتلنا بعناية.

من زينب إلى يزن

لم أنس يوماً ليس لأنك ذلك الحب الذي لا ينسى لأن الخيبة حين قررت زيارتي تجسدت بك، لأنني بالهوان الذي أبديته لي فقدت كل شيء، لم أنسَ ليس لأن ذكرياتنا الجميلة تطاردني لأن كل تلك الكوابيس التي جعلتني أعيشها لم تغادرني لا في النوم ولا في اليقظة، لم أنسَ لأنني في الوقت الذي كنت به أسندك كنت تدفعني لأسقط، في الوقت الذي كنت به أسعد لقوتك كنت تتلذذ بضعفي، لم أنسَ ليس لأنني لا أريد النسيان، لأنه هجرني ولم أستطع الاحتفاظ إلى بقليل من الحياة لأتنفس هواءها.

من قال أن الحرب وحدها تقتل أحيانا يكون القاتلُ لا يحملُ سلاحاً ، أتذكرُ كم مرة قتلتني **!!؟؟** الغدر أشد ألماً من القتل، كلُ من مات فني جسده فقط إلا أنا فنيَّت روحي لكن جسدي ما زال حياً.

الأرض تتغذى علينا كما نأكلُ اللحم، تغير كُل شيء، هبت رياح الفراق، فراق العائلة، مكان السكن، الوطن، فارقت حتى نفسها أصبحت الضحكات ترتسم على وجنتيها بصعوبة، كانت تجلسُ على السرير في غرفة جنى ابنة عم كرم، تحسن حالها و هدأت بعد ما عانته، لم ترغب في خوض حديث عن ما حدَث، نظرت عبر النافذة لترى كرم قادماً نحو المنزل في الحين دخلت جنى الغرفة، كانت تشعر بكره جنى لها لم تعلم أن كرم قد صرح سابقاً عن حبه لجنى و أنهُ حين أحضرها إلى منزل عمه و أخذ يهتمُ بها كانت جنى تحترقُ غيظاً، جلست بجوارها و ابتسمت بخبث، علمت زينب أن جنى تنوي إزعاجها كما تفعلُ عادةً، تحدثت و هي تشربُ من كأس العصير الذي في يدها

-ألن تخبريني ماذا فعل بك الرجال في القرية؟، ماذا شعرتِ حينها، لا بد أنك أحببتِ الأمر.

ارتسمت أمام زينب صور سريعة لكل ما كان يحدثُ معها أخذت تهزُ رأسها لتمزق تلك الصور من ذاكرتها (كفي عن هذا، كفي عن هذا رجاءً).

ضحكت بصوتٍ عالٍ (توقفي عن التظاهر بأن هذا يزعجك)، قاطع ضحكتها كرم و هو داخلاً إلى الغرفة ابتسم بفرح حين رأى جنى تضحك لظنهِ بأن زينب سعيدة لكن تلاشت بسمته عندما رأى الدموع تلمع في عيني زينب.

كرم: أين والديكِ.

اقتربت جنى منه و نظرت إلى عينيه مباشرةً ثم همست في أذنه: ليسا هُنا، أريدُ أن نتحدث لكن ليس أمام صديقتك.

كرم: أخرجي سأتبعكِ بعد قليل.

جنى: لماذا لا نخرجُ سوياً.

كرم: أريدُ أن أحدث زينب في أمر، اذهبي وسأتبعك.

خرجت جنى، بينما اقترب كرم من زينب و جلس بجوارها متحدثاً برفق (ما الأمر، كأنكِ لستِ بخير اليوم؟).

-يكفي أن تكون قريباً لأكون بخير.

شعرَ بكلماتها تبثُ الطمأنينة في ثناياه، أخيراً الفتاة التي طالما أحبها تشعرُ بالقليل مما يُكنهُ لها، كان سعيداً لكونها تتحسن بشكل سريع، أخرج مرهماً من الكيس الذي يحمله، كشفت عن الجهة القريبة من كليتها اليمنى لتدهن الجرح العميق الذي لا يزال يؤلمها رغم حياكته، كانت تتحرك بصعوبة فبعض الكدمات لا تزال تؤلمها، طلب منها الاستراحة أخذ يدهنه بلطف بينما يتحدث (سأبدأ الليلة في العمل، علي جمع المال لننتقل إلى منزل آخر، سنقيم سوياً إن كان هذا لا يزعجك).

تسارعت دقات قلبها و ظهر على وجهها الارتباك : هل سأبقَ هنا لوحدي خلال عملك؟.

-لا تقلقي، إنها فترةٌ مؤقتة، إنهم يحبونك، يتفهمون كونك صديقتي المقربة، لن يُزعجك أحد.

فتحت جنى الباب باستياء، و نظرت مدهوشةً عندما رأتهُ يطببُ لها الجرح (مللتُ انتظارك، يا للسخرية، هل هي عاجزةٌ عن تدليك جرحها !!!!).

خرج معها إلى الصالة و هي تتمالك نفسها : لماذا أنت مهتمُ بها هكذا، هل تشفقُ عليها أم أن هناك دافعٌ آخر، يُعجبكَ أنها شقراء أليس كذلك؟.

-اهدأي من فضلك.

-اهدأ؟، لقد قلت لي بأنكَ تُحبني والآن تهتمُ بفتاة أخرى أمام عيني.

تحدث مستاءً: أهتم بها لأنها ليست بخير، لأنها صديقتي منذُ ثلاثة أعوام و لم يبق لها أحد.

****

لسنا كما نبدو إننا أوراقٌ من الداخل.....

انتصف الليل، كان الجوُ لطيفاً، نسمات الهواء تدغدغُ الروح، كان يزن يدرسُ في شرفة المنزل الذي كان يستأجرهُ مع كرم في مدينة حلب، وصلتهُ رسالة من زينب (لن أنام حتى تنهي دراستك، سنخلدُ للنوم سوياً).

أشرقت الشمس و هو لا يزالُ يدرس، سمع صوت قرع الباب، توجه ليجد زينب تحملُ القهوة في كأس بلاستيكية و ما إن فتح حتى قدمتها له مع ابتسامتها العفوية (صباح الخير).

أمسكها من يدها ليدخلها إلى الداخل لكنها أفلتت يدها بنعومة (عليَّ أن أذهب).

غادرت بينما بقي هو واقفاً ينظرُ نحوها.

عاد من ذاكرته إلى حاضره و هو يتقلبُ في فراشه مريضاً و قطرات العرق تتصبب من جبينه، التفتت إليه منال و هي شبه نائمة (ألم تنم بعد؟، خذ المزيد من المسكنات ستكون بخير) و أكملت نومها.

نهضت زينب من فراشها و قلبها يخفق، نظرت حولها لتجد نفسها وحيدة، بدأت بالبكاء (لا أصدقُ أن يزن قد فعل بي ما فعل!!، ما حدث أفظع من أن يكون حقيقة، لماذا!!!، لماذا!!!).

أمسكت بكأس الماء المجاور لتشرب فوجدتهُ فارغاً، مسحت دموعها و خرجت من الغرفة بالهدوء متوجهةً نحو المطبخ لتملأه، بينما هي في المطبخ شاهدت جنى تتسللُ خارجةً من غرفة كرم إلى غرفتها.

ارتمت على سريرها دون أن تلحظ عدم وجود زينب بسبب الظلام، أما زينب طرقت باب غرفة كرم ليفتح الباب بينما هو يرتدي كنزتهُ، ظهر الارتباك على كليهما، لم تدر ما ستقول، نظرت للساعة المعلقة على الحائط لتجدها الواحدة بعد منتصف الليل

زينب: متأسفة، الوقت متأخر، سأعود للنوم.

أمسك بيدها: لا تذهبي، أدخلي.

جلسا صامتين لبضعة ثواني بينما هو ينظرُ إليها منتظراً ما ستقول، قررت أن تسأل على ما يتبادرُ إلى ذهنها : هل تحبها؟.

-أحبها!!!، لا، لا أحبها.

نهضت من مكانها لتغادر فشدَّ على يدها (كيف بوسعك أن تسألي سؤالاً كهذا!!!).

زينب: اعذرني، لم أعد أثق بأحد، حتى في نفسي، لم أعد أثق.

أبعدت يدهُ عنها فاقترب منها (أنا كرم يا زينب، كرم المستعد أن يخسر كل شيء في سبيل أن يكسبكِ، عليكِ أن تثقي بي، ثقي بي فقط).

دخلت خيوط الشمس عبر النافذة، لمع شعرُ زينب و رموشها كالذهب بينما هي نائمة و كرم مستلقٍ بجوارها يتأملها، أخذ الهاتف النقال الخاص بزوجة عمه يرنُ في الصالة، فتحت عينيها ثم نظرت حولها لتنهض بخوف(يا إلهي، أنا هُنا!!! هُنا، يا للمصيبة).

كرم: لا تخافي، الجميع نيام.

- عليَّ أن أخرج.

نظر عبر الباب ليجد الصالة فارغة : لا يوجد أحد، يمكنكِ الخروج.

نظرت إلى الهاتف النقال الذي يرن بينما هي متوجهة لغرفة جنى لتجد بأن منال هي المتصلة.

****

كان الجميع جالسين حول مائدة الإفطار، كانت أم جنى ترمقُ زينب بنظرات حادةٍ و هي تفكرُ بكلام شقيقتها منال(كيف تبقي فتاةً كهذه في منزلكم، إنها عاهرة، حتى زوجك ستحاولُ التقرب منه، إنكِ تدمرين عائلتك بفعلتكِ هذه، عليكِ التخلصُ منها، لا تشفقي عليها أبداً، إن كنتِ تحبين عائلتك أبعديها عنكم، إنها أفعى ستلدغكم جميعاً لأجل مصالحها).

كان كرم ينظرُ نحو زينب بين الحين و الآخر، إنها طفلتهُ و حبيبةُ المراهقة و الشباب، كانت إذا التقت عيناهما أزاحت نظرها عنهُ كي لا تفيض المشاعر و تلامس الحضور، نظرَ إلى الساعة عليه أن ينهض الآن ليذهب للعمل، تحدثت زينب إليهم بخجل.

زينب: هل يمكنني أن أخرج لأرى الجوار.

نظرت كل من زوجة العم و جنى إلى بعضهما فطلبها لم يُعجبهما و تحدثت الزوجة في نفسها (بالفعل كما أخبرتني شقيقتي، تظنُ بأنه منزلها تريد أن تفرض علينا وجودها).

العم: بالطبع يا ابنتي، حين يسمحُ الوقت سآخذكِ في جولة لتتعرفي إلى المدينة أكثر.

شعرت بحيوية لم تشعر بها من قبل، كان كرم دواؤها، الشخص الذي يهتمُ بتفاصيلها و يحاولُ إصلاح أي ضرر تلحقهُ الحياة بها.

خرجت معهُ إلى الشارع المجاور للمنزل لم يرد أن يبتعد بها أكثر فهي لا تعلمُ شيئاً عن الطرقات في المنطقة بينما خرج العم أيضاً إلى عمله و بقيت كل من جنى و والدتها تتحدثان:

أم جنى: إياكِ أن تقتربي من هذه الفتاة إنها سيئة، تتظاهرُ بالطيبة و البراءة لكنها كالأفعى.

جنى: ماذا فعلت؟.

أم جنى: إنها تحاول جذب الرجال نحوها لتحقق مصالحها، مستعدةٌ لأن تضحي بأي شيء في سبيل تحقيق أهدافها.

جنى(بحماس): دعينا نطردها، لنطردها و لينتهِ الأمر.

أم جنى: المشكلة أن والدكِ متعاطفٌ معها، كما سيحزنُ كرم إن طردناها، علينا أن نتبع أسلوباً آخر، إن كنتِ تنوين أن تعلقي كرم بكِ حاولي التفريق بينهما، لا تتركي لهما المجال بأن يبقيا لوحدهما، فهمتِ؟.

دخلت زينب و هما لا تزالا جالستين على المائدة تتهامسان، رمقتها أم جنى (أنتِ يا فتاة).

زينب: أنا؟.

أم جنى: قومي بترتيب الصالة و غسل الأطباق.

تفاجأت زينب من أسلوبها لكن لم يكن بوسعها إلا أن تنفذ ما يطلبُ منها فالقوقعة التي كانت تحتمي بها أصبحت رماد، إنها الآن بلا عائلة كجذع شجرة مكسور يجرفهُ السيلُ كيفما شاء.

كانت تقوم بأعمال المنزل ببطء بسبب الجروح و الكدمات التي تزال تؤلمها بينما تجلسُ جنى و والدتها تشاهدان التلفاز وتطلبان منها الإسراع في تنفيذ طلباتهما كما لو أنها خادمة، حين انتهت وقفت أمام أم جنى و هي بالكاد تقوى على الوقوف و عيناها تكادان تنفجران بالدموع.

أم جنى: طالما أنتِ مقيمة معنا عليكِ الالتزام بما نريد، بالنسبة لوجبات الطعام، ليس عليكِ الجلوس على مائدتنا فأنتِ لستِ من العائلة، ستجلسين على السرير الإضافي في غرفة جنى و ليس عليك الاختلاط بزوجي أو بكرم فنحن عائلة محافظة و أنتِ غريبةٌ عنّا، هل لديكِ اعتراض؟.

غصت زينب بالكلمات: لا.

أم جنى: في حال كان لديكِ اعتراض يمكنك المغادرة إلى مخيمات اللاجئين هنا و افعلي حينها ما تريدين.

شعرت جنى بالنصر حين رأت زينب ذليلة و بائسة، دخلت إلى غرفتها و اتصلت بكرم بينما كانت زينب مستلقية على سريرها تمسحُ دموعها.

جنى: كيف وجدت العمل؟، اشتقتُ إليك (ظهر الغيظ على وجهها حين سألها عن زينب و أجابت بعصبية)، إنها نائمة، بخير، قلتُ لك أنها بخير و نائمة.

انهت مكالمتها فسألت زينب: لماذا كذبتِ عليه!.

جنى: ببساطة، بيننا علاقة غرامية و لا أريدهُ أن يتحدث إليكِ.

ابتسمت زينب باستهزاء لما تقولهُ جنى، فاقتربت منها و نظرت إليها بسخرية (سمعتُ بأنكِ تسببتِ في مقتلِ والدكِ و بأنكِ عاهرةٌ من الطراز الأول).

نهضت زينب و هي تضعُ يدها على الجرح القريب من كليتها، تحدثت بصوتٍ متألمٍ مبحوح (لم أفعل هذا، لم أفعل هذا، إنهم يكذبون)، مرت

أمامها صور الحادثة حين قاموا بقتل والدها دفنت رأسها تحت الوسادة و هي تكاد تمزقها بينما تشدُ عليها بكلتي يديها كأنها تريدُ خنق نفسها.

****

حلَّ المساء، كان أول يوم لكرم في العمل طويلاً و متعباً، دخلَ إلى منزل عمهِ و هو يتوق للقاء زينب، وجد عمه و زوجتهُ يشاهدان التلفاز أما جنى كانت جالسة مع صديقتها مها في الجانب الآخر من الصالة، ألقى التحية على الجميع ثم تحدث إلى جنى: ماذا تفعلُ زينب؟.

جنى: نائمة.

كرم: لا تزال نائمةً منذُ الظهيرة!!!.

جنى: استيقظت ثم عادت للنوم، سأحضرُ العشاء.

دخلت مها برفقة جنى للمطبخ و هي تهمسُ: يا إلهي إن ابن عمك وسيم للغاية ستكونين غبية إن لم تجعليه يتزوجكِ.

جنى: إنهُ مغرمٌ بي، يُحبني و سيتزوجني، أخبرني بذلك.

جلس الجميع حول المائدة إلا زينب، نظرَ العم إلى الحاضرين ثم قال: أين ضيفتنا؟.

كرم: ألم تطلبي منها الحضور!.

جنى: بلى، لكنها لا تريد.

كرم: أريد أن أحدثها.

رفعت أم جنى نبرة صوتها: هذا لا يجوز، لا يجوز يا كرم أن تدخل إليها لوحدكما سيكون الشيطان ثالثكما، أتركوها على راحتها.

العم: ابنتي ادخلي معهُ ليتحدث إليها.

كانت زينب نائمة في الظلام، طُرِقَ الباب بلطف و دخل كرم مع جنى، أشعلَ الأنوار و جلس بجوارها نظر إليها فرآها شاحبةً على عكس الحال التي تركها بها في الصباح: زينب!!، زينب!!.

فتحت عينيها ثم أغمضتهما: أريدُ أن أنام.

حتى صوتها كان متعباً بدت لهفةُ كرم عليها واضحة: هل أنتِ بخير؟، هل يؤلمكِ شيء، أجيبيني ؟.

زينب: بخير لا تقلق، أريدُ أن أنام فقط.

جنى(تخاطب كرم): هيا لنتناول العشاء.

لم يكترث لكلمات جنى، لاحظ أن زينب تضع يدها بالقرب من مكان الجرح، وضع ذراعهُ خلفها ليجعلها تجلس ليتفحص جرحها ، بينما تنظرُ جنى نحوها بكراهية : ما الذي تفعله؟.

نظر مكان الجرح ليجد الدماء قد بللت سترتها البيضاء و غطاء السرير: اتصلي بالطبيب، ألم تسمعي!!!، اتصلي بالطبيب.

خرجت جنى بينما ضمها كرم إلى صدره: لم يكن علي أن أذهب.

زينب: لا عليك، إنهُ ألمٌ بسيط.

أبعدها عنهُ بلطف قبل أن يراهما أحد، وخزها الطبيب بإبرة مخدرة و أعاد حياكة الجرح من جديد، تحدث بالتركية: ستكون بخير، يجب أن تؤمنوا لها الراحة الجسدية و النفسية.

لم يكن كرم يرغبُ في مغادرة الغرفة لكن عمهُ طلب منهُ أن يخلد للنوم ليتمكن من الذهاب للعمل في اليوم التالي.

استلقى على السرير و أغمض عينيه محاولاً النوم ما هي إلا دقائق قليلة حتى دخلت إليه جنى، جلست بجواره: ألن نسهر سوياً.

جلس غاضباً: ألم يكن يبدو لكِ بأنها ليست على ما يرام!!!.

جنى: إنك غير محتمل، و من تكون هذه الفتاة!!!، هل تظنني خادمةٌ أو ممرضة لها، لماذا تتصرفُ كأنك مسؤولٌ عنها، نحنُ لنا حياتنا بعيداً عنها، هل ستبقى معنا دوماً، في النهاية ستتزوج أو ستكملُ هجرتها إلى أوروبا هي هُنا فقط حتى يتحسن حالها.

عاد للاستلقاء: أنا حقاً متعب من العمل، أرغبُ في النوم.

****

لم يكن لأحد أن يشعر بالحزن في ضحكتها كبكاء طائر ظنهُ الحاضرون يغني فصفقوا له بحرارة.

حتى تلك الفتاة المدللة كبرت و سبقت عُمرها بمراحل، أصبحت تبتسمُ في قاع الحزن بعد أن كان يبكيها تغيرُ الطقس أثناء رحلة مقررة.

فتحت عينيها كأنها تجردت من حزن الأمس، شعرت بأنها تخوضُ معركة ضد الحياة و عليها أن تهزمها بقوتها، جلست و أمسكت المرآة المجاورة لها و نظرت إلى وجهها مررت أصابعها على الهالات السوداء المتراكمة أسفل عينيها (لا بأس إنني جميلة).

كانت جنى مستلقية على السرير المجاور لها: هل جُننتِ!!!.

طُرِقَ الباب و دخل كرم، ألقى عليهما التحية و تحدث إلى زينب: كيف حالك اليوم؟.

زينب: أسعد من أي وقتٍ مضى، حتى أني أرغبُ في الرقص.
جنى: لماذا؟؟؟؟ ما الشيء الذي يستحق؟، لو كنتُ في مكانك لقتلتُ نفسي؟.

نظرَ كرم إلى جنى باستياء بينما أجابت زينب بكل سرور: لكنكِ لستِ مكاني، لكلٍ مِنّا مكانُه، حلمتُ بأني عروسٌ، طوال الليل و والدتي تسرحُ شعري و تجهزني للزفاف، لقد حاكت لي ثوب زفاف لم أرَ أجمل منهُ في حياتي ارتديتهُ و قام شقيقي سليمان بالإمساك بالفستان من الخلف، كان أبي يرتدي بدلتهُ العسكرية قام بعناقي شعرتُ بمشاعره بشكل حقيقي، ثم أوصى بي الشاب الذي سيشاركني حياتي، صعدنا في سيارتنا و قد مشى خلفها موكبٌ كاملٌ، إني أشعرُ بوالديّ أشعرُ بوجودهما.

جنى: أبٌ غير موجود، أم غير موجودة، شقيق..

كرم: جنى، يكفي، اصمتي.

جنى: أريد أن أتحدث لماذا علي أن أسكت، شقيق غير موجود حتى العريس غير موجود، إن سعادتكِ وهمية.

زينب: لا يوجد سعادة وهمية، السعادة هي سعادة، و الحب هو الحب، إنها مشاعر حقيقية سواء كانت مؤقتة أو دائمة.

خرجت جنى لتجيب على نداء والدتها، أمسك كرم يد زينب برفق: آملُ أن أكون ضمن حلمك هذا.

تظاهرت زينب بأنها تفكر ثم ابتسمت: رُبما!!.

كرم: الآن يمكنني الذهاب إلى العمل و أنا مطمئنٌ إلى حالك.

دخلت أم جنى إليهما: الفطور جاهز، إن هذا الوضع لا يعجبني يا كرم أنت شابٌ واعٍ و تعلمُ بأن هذا لا يجوز.

لم يكن بوسع كرم إلا أن يحتمل هذه الكلمات المزعجة و يتعامل معها بلطف: أردتُ فقط الاطمئنان عليها بعد الذي حدث البارحة.

أم جنى: نحن سنعتني بها ريثما تتحسن.

****

فقد كل شيء معناه حين فقدتُ حلمي، تلاشت نكهة الحياة حين رحلت.
مفاجأة جديدةٌ كانت تنتظرُ زينب، وقفت أمام المرآة و أخذت تتأملُ آثار الكدمات و التعذيب و هي تتوق لأن تزول و يعود جسدها بلونٍ موحدٍ كما كان، لفت نظرها أحمرُ الشفاه الخمري الخاص بجنى، استغلت فرصة ذهابها مع والدتها إلى السوق و أخذت تلهو بوضع مساحيق التجميل على وجهها، سمعت طرق الباب الخارجي،

توجهت إليه و فتحتهُ، توسعت حدقتا عينيها عندما وجدت يزن أمامها، غزى الخوف روحها كأنها رأت الشيطان ، استمر في النظر إليها، أرادت أن تغلق الباب في وجهه لكنهُ منعها، توجهت نحو غرفة جنى فأمسكها من زندها و قربها إليه بينما هي ترتجف، فتح فمهُ كانه أراد أن يقول شيئاً ثم صمت في حين دفعته و دخلت إلى الغرفة ثم أوصدت الباب خلفها.
جلس على الأريكة و وضع راسهُ بين يديه، دخلت جنى و والدتها لترياه بهذا الحال.
ألقى عليهما التحية و هما متفاجئتين من وجوده في تركيا، تحدث قائلاً: القرية لم تعد صالحةً للعيش لقد خرجنا منها؟.
جنى: أين خالتي منال.
يزن: إنها في فندقٍ قريبٍ من هُنا.
أم جنى: لماذا لم تحضرها معك؟.
يزن: لم تعلم بأني قادمٌ إليكم، كنتُ في الشارع المجاور أبحثُ عن منزلٍ للإيجار.
أم جنى(بفرح): أحضرها إلى هُنا، في المساء سنقيم لكما حفلةً بما أننا لم نحضر زفافكُما.
خرجت جنى من غرفتها: أمي إن زينب ترتجف لا أدري ما بها!.

أم جنى: فالتمت و لننهي هذا الهراء، لقد أصبح منزلي مشفى و مصحة نفسية، لو أنها لا تُهمُ كرم لطردتها.

نهض يزن للمغادرة و هو شارد الذهن بينما تصرُ أم جنى على أن يأتي في المساء مع منال.، تذكر كيف كانت زينب تندفعُ نحوهُ حين تراه، مرَّ في باله بريق الفرح الذي كان يشعُ من عينيها، يديها اللتين كانت تمدهما نحو يديه، لقد كسبَ ثأرهُ، كسب المال و كسب زواجه من الفتاة التي كان يريدها في السابق لكنه خسر مشاعر لن تتكرر، خسر الدفء، نادرون هم الأشخاص الذين يمنحوننا الدفء، الذين يشعروننا بأننا نورهُم و بمجرد رؤيتهم لنا ينيرون فنشرقُ معهم.

****

كان كرم يعملُ كنادل، يسجلُ الطلبات ثم يوصلها إلى الزبائن، اقترب منهُ يزن في الحين الذي كان يأخذ طلباً خاصاً بأحد الزبائن إلى المطبخ، لم يستطع كرم أن يطلق العنان لغضبهِ أمام الزبائن: ما الذي أتى بك إلى هُنا؟، اخرج من هُنا.
يزن: علينا أن نتحدث.
كرم: ليس بيننا حديثٌ مشترك، أريدُ أن أكمل عملي.
يزن: لقد أصبحت القرية ساحة للمعركة، رفضت ياسمين المغادرة.
شدَّ كرم على ذراعه بقوة: تركتها هناك!!!!.
يزن: لم ترد المجيئ، إنها تنتظرُ زوجها لعلهُ يعود.
كرم(دمعت عيناه): كان عليك أن تحضرها رغماً عنها، كيف تركتها للموت.
يزن: لقد خنتني مع الفتاة التي كنت أحبها ثُمَّ تركتنا جميعاً و هربتَ بها، أنت لم تُرد سواها، تتظاهر بأنك خائف على ياسمين، إن كنت خائفاً حقاً و تعتقدُ بأنك تستطيع أن تحضرها رغماً عنها، عُد إلى سوريا و أحضرها.
كرم: لست الآن في وضع يسمحُ لي بالنقاش حول ما مضى، ابق بعيداً عني و عن زينب.
دفعهُ جانباً و مشى ليكمل عملهُ بينما عاد يزن أدراجه.

****

دخل يزن برفقة منال و معهما بعض الأمتعة إلى منزل صغير قديم استأجرهُ يزن في أحد الأحياء الفقيرة، نظرت منال باشمئزاز(ما هذا؟، ما هذا المنزل البائس، لم أتخيل طوال حياتي أن يؤول بي الحال لأسكن هُنا).
رد بسخرية: هل ترغبين أن أسكنكِ في قصر! أم أن أشتري لكِ جزيرة.
-أريدُ أن أنام اليوم في منزلِ شقيقتي.
اشتعل غضباً: ستنامين هُنا هذا هو منزلنا هل فهمتِ!.
أخذ يركلُ كل ما يوجدُ أمامه في قدمه بينما جلست هي على الأرض تنظرُ نحوه باشمئزاز.

-هل جننت!!! أم أنك حين ذهبت رأيت تلك العاهرة فحنَّ قلبك مجدداً.
اقترب منها و أمسكها من عنقها و رفعها و هو يشدُ عليها: اصمتي لستُ في مزاج يحتملُ هذه التفاهات.
أبعد يده عنها بينما أخذت تسعلُ متفاجئة من ردود فعله الجنونية.

****

جلس الجميع حول المائدة و زينب معهم بعد أن اقتنعت أم جنى أنها إن قست عليها و ساءت حالتها مجدداً ستنال المزيد من التعاطف، التفتت أم جنى إلى كرم
- لقد جاء يزن اليوم، هل تحدث معك؟ سألني عن مكان عملك.
كرم: رأيته.
لم يرغب في الحديث عن يزن بشكل خاص أمام زينب.
العم: مسكينة ياسمين لديها أملٌ حتى الآن بأن زوجها سوف يعود.
فتحت جنى الباب بينما يطرق ليدخل كل من منال و يزن، نهض الجميع لاستقبالهما و المباركة لهما بمناسبة زفافهما إلا كرم و زينب.
كان كرم ينظرُ إليها في حين أنها لم ترفع نظرها لتنظر إلى ما يحدثُ حولها بينما يرمقها يزن و هو يجلس مع زوجته ليشاركوهم العشاء.
نهضت زينب بهدوء دون أن ترفع نظرها : الحمد لله لقد اكتفيت.
توجهت نحو غرفة جنى بينما بقي كرم جالساً، لم يُرد أن يظهر العداوة التي بينه و بينه شقيقه أمام عمه.
منال: ما شأن ضيفتكم لم تلقِ حتى التحية!.
أم جنى: لا تكترثي إنها غريبةُ أطوار.
العم: اتركوها و شأنها إنها فتاة صغيرة ليس لديها خبرة في التعامل.
بينما الجميع مشغولون في تبادل أطراف الحديث، هم كرم لمغادرة المائدة.
جنى: إلى أين؟، لقد أحضرت مستلزمات الحفلة و الكاتو.

كرم: أريد أن أتحدث إلى زينب.
أم جنى: كرم! ما شأنك يا بني؟، كم مرة علينا الحديثُ في الأمر، لا يجوز أن تختلي بها.
منال: بالأصح إنها فتاة هي من عليها أن تمنعه من حدوث الخلوة لكن يبدو بأنها لا تجيدُ الحفاظ على نفسها.
يزن: لا تتدخلي.
تنهد كرم مستاءً بعد هذه التعليقات: سنتزوج، أريدُ الزواج منها.
توقف البؤبؤ في عيني جنى: ماذا؟.
وسط تساؤلات الجميع و دهشتهم كرر ما قاله: نعم أريد الزواج منها، ما هو الغريب في الأمر؟، سننتقلُ للعيش معاً قريباً أنا أجهزُ لهذا، و الآن اسمحوا لي أن أدخل لأحدثها.
أكملَّ يزن طعامه متظاهراً بأن الأمر لا يعنيه بينما توقف الجميع عن الأكل و هم يناقشون الأمر في الحين الذي تداركت فيه جنى صدمتها و توجهت نحو غرفة الاستحمام و بدأت بالبكاء..
أم جنى: لا أصدقُ أن كرم سيتزوجُ من فتاة كهذه!!!.

العم: و مِاذا يعيبها إنها فتاة جميلة و لطيفة كما أنه سيكسبُ ثواب احتوائها فهي يتيمة.
جلس كرم بجوارها و هي تكفكفُ دموعها: لماذا تبكين؟.
-إن رؤيتهُ كفيلة بأن تذكرني بكل ما مضى إنه يجعلني أعيش الحادثة من جديد.
قبل يديها، ضمها إلى صدره و همس في أذنها: هل توافقين على الزواج مني؟.
-الزواج!(نظرت إليه)، ربما كنتُ أصلحُ لزواج لو لم يحدث معي ما حدث، لكني لم أعد كما كنت، إني الآن مليئة بالتناقضات، أحياناً لا أدري ماهية إحساسي، أريد أن أبقى قريبة منك لكن فكرة الزواج تخيفني، لقد أحببتني قبل هذا، أحببتني بشخصيتي القديمة التي أعجزُ حالياً حتى عن تقليدها.

-أحبكِ كيفما كنتِ و كيفما ستكونين، لا داعي لأن تحاولي التقليد، أحبك كما أنتِ الآن و كما ستكونين غداً، أحبُ الروح التي تقطن

جسدك و الروح لا تتغير، تغيرُ الظروف لا يعني تغيرُ المشاعر، لا أودُ الضغط عليكِ، سأتركِ تفكرين، أعلم أنك لا ترغبين في البقاء في هذا المنزل، لذا حتى إن كان جوابك الرفض سننتقلُ، سنقيمُ سوياً كأصدقاء.
قاطع حديثهما عمه الذي فتح الباب بحماس: هيّا أيُها الشبان، اخرجا نريدُ أن نحتفل بأنكما ستصبحان عروسين.
رسمت كلماته البسمة على وجهيهما، أجاب كرم: إنها متعبة ستأخذ قسطاً من الراحة.
العم: إذاً هيّا انهض و انضم إلينا نريدُ أن نحتفل بيزن و منال.
كرم: في الحقيقة يا عمي لا رغبة لي في الاحتفال بعد أن بقيت ياسمين لوحدها هناك.
أمسكهُ عمهُ من زنده و قام بإخراجه إلى الحاضرين، كان وجه جنى يقطرُ سماً و هي تنظرُ إليه.
منال: هل وافقت على الزواج منك أم أنها تحبُ أحداً آخر.

أم جنى: و لمَ سترفض، عليها حمد الله أنها وجدت شاباً يريدها و يقبلُ بها بعد أن تم اختطافها و الله وحده يعلمُ ما فعلوه بها.

العم(غاضباً): ما هذه الكلمات يا امرأة لدينا ابنة شابة، خافي عليها، خافي أن يعاقبك الله على كلماتك هذه بإيذائها.

تأفأفت من كلمات زوجها ثم نظرت نحو ابنتها البائسة، التي توجهت نحو غرفتها للنوم.
كانت زينب تدلك الكدمات التي في جسدها بمراهم خاصة حين دخلت جنى، جلست على سريرها و تحدثت إليها باستحقار (هل حقاً تريدين الزواج من كرم، من تظنين نفسك!، انظري إلى حالتك، كدمات و جروح و آثار مقرفة، تراهنين؟، سيطردك من الليلة الأولى، إنهُ مشفقٌ موهوم، حين يدركُ بأنه شاب أعزب و سيعيش مع فتاة حلَّ بها ما حلَّ بكِ، فتاة عرفها عدة رجال، و أنتِ معه إن رفضته سيذكرهُ هذا بأنك مريضة نفسية و سيبدأ بتخيل ما فعلوه بكِ حتى أصبحت معقدة هكذا، و إن لم ترفضيه سيدرك أنكِ لستِ فتاة

بريئة كما تدعين و أنك رغم كل ما حلَّ بكِ قادرة على ممارسة حياتك بشكلٍ طبيعي.

توقفت زينب عن التدليك و ظهر على وجهها أثرُ كلمات جنى التي لم تتوقف عن الكلام و تابعت (سيموت فضوله نحوك منذُ أول ليلة سيرى بأن جمالك لن يستطيع أن يُخفي عيوبك النفسية و الجسدية و إن بقي معك فإنه لن يكتفِ بإمضاء حياته مع فتاة ناقصة منذُ البداية، سيتزوجُ من أخرى بالتأكيد).

وسط طعنات هذه الكلمات كانت زينب تستطيع أن تسمع دقات قلبها بأذينها، تكورت على نفسها في السرير و أغمضت عينيها بينما استمرت جنى في التقليل من شأنها و سلبها ما تبقى من ثقتها بنفسها.

****

كانت زينب نائمة بجوار كرم بعد الليلة الأولى من زواجهما، فتح عينيه و نظر نحوها بغضب ثم أخذ يدفعها بيده، استيقظت بهلع بينما هو يصرخُ في وجهها (ما زلتِ نائمة إلى الآن!!!، انهضي، انهضي، ألا يكفيكِ بأني تطوعتُ للزواج منك، لو لم أفعل هذا لكنتِ الآن تشحذين في شوارع تركيا، كم كنتُ مخدوعاً بكِ!!!).
كانت قطرات العرق تتصبب من جبين زينب بينما هي نائمة، فتحت عينيها و أخذت تحمدُ الله بأنهُ مجردُ حلم.
اقتربت الساعة من الثالثة صباحاً لم تستطع النوم بشكل متواصل بسبب كلمات جنى الجارحة، كلما اقتربت عينيها من أن تغفو رأت كابوساً جديداً يتعلقُ بزواجها من كرم، نهضت من فراشها بينما كانت جنى غارقةً في النوم و توجهت نحو غرفة كرم.

كان غافياً شعرَ بحركة على السرير، فتح عينيه ليستغرب وجود زينب بجواره، كانت مرتبكة كما لم يرها من قبل، أجابته قبل أن يسأل عن حالها (الكوابيس لم تتركني هذه الليلة).

لم يصارحها يوماً أنه دوماً يرى كوابيساً تتعلقُ بفترة اختطافها، يراها تتوهُ منه، يرى نفسهُ يجوب شوارع حلب تحت القذائف بحثاً عنها.
أمسكها من يدها و جعلها تستلقي بجواره ثم أخذ يداعب شعرها لتتمكن من الاسترخاء و النوم، كان دوماً يتحدى رغبته، كان يكبح جماح نفسه حين تكون قريبةً منهُ إلى هذا الحد كي لا يزعجها، لكن هذه المرة هي من أرادت أن تثبت لنفسها أنها قادرة على أن تتجاوز ما حدث معها أثناء اختطافها، لم تعد مقاييس الخطأ و الصواب هي من تحكمها لم تعد تفكرُ في الحلال و الحرام، أصبح مقياس الراحة بالنسبة لها هو أن تشعر بأنها قادرة على مواجهة مخاوفها، نظرت إلى عينيه عن قرب ثم عانقته لتهدم بعناقها جميع جدران المنطق و تزيل كل الحواجز.
بحلول السادسة صباحاً دخلت إلى غرفة جنى التي فتحت عينيها و نظرت نحوها ثم بدأت تعضُ على شفتيها بغيظ : كنتِ معه!!!!؟.
كانت زينب قد تغلغلت في الفراش بغية الدفء و النوم دون أن تجيب، فنهضت جنى من مكانها و أعادت سؤالها: كنتِ معه؟؟؟.
زينب(ببرود): أردت اختبار الكلام الذي أخبرتني به في الأمس، اليوم ستظهرُ النتيجة.
أخذت جنى تشتمها و تهينها كما اعتادت أن تفعل، لكن زينب في هذه المرة أغمضت عينيها لتنام كأنها لم تسمع شيئاً.
حضن كرم الوسادة المجاورة لينال القليل من الراحة قبل أن يذهب لعمله، كانت تلك الليلة من أجمل الليالي التي عاشها لكن مَن يدري بأنها ربما تكون الأخيرة، فتحت جنى الباب بقوة و دخلت(لماذا قلت لي بأنك تحبني!!!، لماذا كذبت؟).
-متأسفٌ إن تسببت لكِ ببعض الألم.
-بعض الألم!، لقد خذلتني، خنتني، قتلتني.
-كان كل شيء واضحاً، لكنك أردت تصديق ما يعجبك، حاولتُ مراراً أن أخبركِ لكن ردة فعلك كانت تمنعني .
-كل شيء واضحاً!، لكنني لم أرَ لقد أصبحتُ عمياء، أعماني حبي لك، كنت تستغلني صحيح؟، تريدني أن أحسن معاملتها لذا خبأت ما بينكما.

اقترب منها ليهدئها: اعذريني، أعلم بأني شخصٌ سيئ لا استحق منكِ هذا الحب.
مسحت دموعها: كيف ستتزوجها!، لست فقط سيئ إنك بلا كرامة، ماذا ستشعرُ إن صادفتما أحد الرجال الذين...
صفعها دون أن تكمل كلامها: اصمتي، ثم أمسكها من ذراعها و أخرجها من الغرفة.

****

خرَجَ العم باكراً في ذاك اليوم، ارتدت أم جنى جلبابها و جهزت نفسها للذهاب لزيارة منال، قبل خروجها تحدثت إلى كرم الذي كان جالساً يشربُ القهوة: فتاتك تزعجني آملُ أن لا يطول بقاؤها هُنا.
كانت جنى تغسلُ الأطباق حين دخل كرم إلى غرفتها للحديث مع زينب بعد ذهاب والدتها، لم يشعر بتغير شي داخلهُ نحو زينب بعد ما حدث في الليلة الماضية، كانت تسرحُ شعرها، ألقى عليها التحية و جلس ليحدثها كانت مرتبكة كعادتها حين ترتكبُ خطأً ثم تعود لصوابها: هل مازالَ عرضُكَ قائماً؟.
-بالطبع، لماذا سألغيه!.
-بسبب ما حدث .....
وضع أصبعهُ على فمها مقاطعاً: هسسس، لم يحدث شيء، أريدُ جواباً.
كان يتتبعُ نظرات عينيها متمنياً أن توافق، قاطعت صمتهُ : أنا موافقة.
ابتسم و هو يمررُ أصابعهُ على لحيته: سأتحدثُ إلى عمي كي يحضر الشيخ في المساء، لا تقلقي لن نبق هُنا طويلاً، أريدُكِ فقط أن تصبري.
كانت جنى تستمعُ إلى حديثهما من خلف الباب، تعضُ على شفتيها و هي تشعرُ بأن ناراً قد أضرمت في قلبها.
كانت أم جنى تمشي نحو المنزل بعد ان عادت من زيارتها، تفاجأت حين رأت الباب مفتوح على مصرعيه، اقتربت لتسمع صوت أحدٍ يئنُ من الألم، ركضت إلى الداخل لتجد جنى مرمية في الصالة على الأرض و المقص مغروس بعمق في خدها و جزء من الفك، كانت

تتلوى من الألم و الدماء تملأ المكان أسفلها، سقطت حقيبة الأم من يدها و أخذت تقتربُ منها بينما تصرخُ بجزع.

كان كرم يعملُ بقمة النشاط متحمساً لطلب أجرٍ مسبق من مالك المطعم حتى يتسنى له الانتقال و الزواج، لكن الاتصال الذي تلقاه غيّر كل شيء.
ركض إلى داخل المشفى ليجد أم جنى و يزن و منال، كان الجميع ينظرون إليه كأنهُ مذنب، تحدث بلهفة : ما الأمر ماذا حدث.
اقتربت أم جنى منهُ و أخذت تضربهُ و هي تبكي: لقد حاولت الفتاة التي جئت بها قتل ابنتي، لقد شوهتها، أنت مَن تسبب في كل هذا.
كرم: متأكدة؟؟ ربما هناك خطأ.
أم جنى(صفعته): خطأ ماذا!! أحضرت لنا فتاة مجنونة لتفسد حياتنا، سأجعلها تتعفن في السجن.
عجز عقل كرم عن تفسير ما يحدث بدت الصدمة على وجهه،
اقترب منهُ يزن: عندما عادت أم جنى من زيارتنا رأت جنى غارقةً في دمائها و المقص عالقٌ في وجهها.
كرم: و ما أدراكم بأن زينب الفاعلة!!!.
صرخت منال في وجهه: لا زلت تدافعُ عنها، جنى من أخبرتنا ، لم يكن هناك أحدٌ سواهما في المنزل، إنها مجرمة، قاتلة.
أمسك بذراع يزن و سأله هامساً: أين زينب الآن؟.
يزن: فرت هاربة.
نظر حوله و كأنه يرى مجزرة أحلامه أمامه، انسحب من المشفى ليبحث عنها فهي لا تعلم شيئاً في هذه المدينة الكبيرة، بالتأكيد ستتوه، عليه أن يجدها قبل أن تبتعد أكثر أو تجدها الشرطة، أخذ يركضُ في الشوارع المجاورة لمنزل عمه بحثاً عنها، يسأل المارة و أصحاب المحلات، لقد فقد سعادتهُ من جديد.
حلَّ الظلام جلس على الرصيف المجاور لمنزل عمه و قد أنهكه البحث، كان العم و يزن و منال عائدين بينما بقيت أم جنى في المشفى، نهض كرم ليسأل عمهُ عن حال جنى لكنهُ لم يجبه و تابع طريقه إلى المنزل بينما وقف يزن و منال يُحدثاه.
يزن: لماذا تجلسُ هُنا؟.

ركزت منال على عروق عينيه البارزة و التعب الظاهر على وجهه، عاود الجلوس في مكانه دون أن يجب، ثم أدار وجهه إلى الجهة الأخرى، فتابعا طريقهما.

منال: إنهُ مهووس بها، يحتاج إلى طبيب نفسي، انظر إلى حاله.

يزن: منذُ طفولته و هو شديد التعلق بالأشياء التي يحبها حتى لو كانت مؤذية.

منال: و أنت ماذا عنك؟.

فتح باب المنزل و دخل، تجاهل أسألتها المتتالية و ارتمى على السرير لينام.

****

حلَّ الصباح، كان لا يزال جالساً على الرصيف يدفنُ رأسهُ بين ركبتيه، كادت أن تغفو عينيه لولا أنه شعر بذراع أحدهم تمتدُ حول عنقه، رفع رأسه بلهفة: زينب!.

لكنهُ كان يزن، حدثهُ و هو يواسيه: هوّن عليك يا أخي.

أبعد كرم ذراع يزن: كفاك تظاهراً، لو كنت بالطيبة التي تدعيها لما وصلنا إلى هُنا.

يزن: إني أشفقُ عليك فأنت تُدمرُ نفسك لأجل فتاة وافقت على الزواج منك لأنها بحاجتك، ليس لأنها تحبك.

ضحك كرم باستهزاء على كلمات يزن، بالنسبة له يزن هو آخر شخص على هذه الأرض من الممكن أن ينصت لكلماته أو يصدقها.

مرَت بضعة أيام لم يجد كرم أثراً يرشدهُ إليها، و عندما استوطنهُ اليأس دخل إلى غرفته و لم يعد يخرج منها، أصبح يخاف السعادة كلما شعر أنه اقترب لينال مراده وضع القدر بينهما أكبر العوائق.

تم تخريج جنى من المشفى بعد تحسن حالها كانت محطمة نفسية، دخلت والدتها إلى غرفة كرم و هي تشتعلُ غضباً، فتحت الستائر ثم كشفت الغطاء عنه بعنف: انهض، أريدُ التحدث إليك.

وضع كف يده على عينيه ليحجب الضوء عن وجهه، ثم نهض ببطء: ما الأمر؟.

أم جنى: تظنُ بأنك هكذا تنجو بفعلتك لقد تشوهت ابنتي، أفسدتَ حياتها، كله بسببك.

كرم: سأترك المنزل أعلم بأن وجودي يزعجكم.

أم جنى: تترك المنزل!!، لا لن تترك المنزل، ستتزوجها سمعتني ستتزوجها لأن همها سيقتلُ والدها، هل نستحقُ منك ما فعلته بنا، عليك أن تصلح خطأك، من حق ابنتي أن تتزوج و تنجب، أخرج الآن و تحدث إليها.

خرجت بينما بقي هو في مكانه يفكرُ في كلماتها، أخذت الحياة تقوده إلى طريق لا يهواه قلبه، ماذا لو عادت زينب!!، ستجدهُ متزوج!، لا إنهُ لا يريدُ الزواج من أخرى.

خرج و ألقى التحية على عمه لكنهُ لم يُجبه كأنه غير موجود، طرق الباب ودخل إلى غرفة جنى كان الضماد لا يزالُ على وجهها و البؤس واضحٌ على ملامحها، جلس بقربها.

كرم: الحمد لله على سلامتك، كيف حالكِ.

جنى: بخير.

كان ينوي أن يسألها عن تفاصيل ما حدث لكنها كانت تتكلمُ بصعوبة، دخلت منال إليها لتطمئن إلى حالها: هيّا عليكِ التعافي بسرعة، ستكونين أجمل عروس.

ظهرت الدهشة على وجهها و وجه كرم فأكملت: لقد قام كرم بخطبتك من والدتكِ.

ارتسمت البسمة على وجهها: حقاً.

منال: بالطبع.

خرجت منال و تبعها كرم، تحدث إليها بصوت منخفض: ما هذا الذي تقولينه! ، من أخبرك أني أريد الزواج.

منال: الفتاة المسكينة في الداخل هي ضحية طيشك، و ما حلَّ بها أنت سببه، أحضرت لهم فتاة غريبة و قامت بإيذائها، ألا تشعرُ بالذنب اتجاه ما فعلته.

شعر كرم بأن الجميع متآمرٌ على تزويجه منها كانوا يخططون دون أخذ رأيه، علم بأنه سيخسرُ عمهُ الذي طالما عامله كابن له و أحسن إليه إن لم يتزوجها، كان الجميع يتحدثون و يتصرفون على أن الأمر سيتم، لم يكن بوسعه الانسحاب فهم يلقون على عاتقه مسؤولية ما حدث.

كان جالساً على سريرهِ يرتدي بدلةً رسمية، دخل إليه يزن لكنه لم يبدي اهتماماً لوجوده: لقد حضرَ الشيخ، الجميع ينتظر، هيّا، هيّا، ما بكَ، ألن تأتي؟.

لم يتحرك كرم من مكانه، جلس يزن بجواره: هكذا ستكافئُ عمك على إحسانه معنا!، جنى تحبك، ستستطيعُ أن تتابع دراستك هُنا، مصلحتك في زواجك منها، إنك رجل، يحقُ لك أربع نساء، حين تجد زينب إن كانت حقاً تحبك ستتفهم أنه وجب عليك الزواج، إنك الآن تدفعُ ثمن خطئها، هل يبررُ لها أن تفعل هذا بجنى إن تشاجرتا!!، هيّا انهض.

دخلَّ العم: لماذا تأخرتما؟.

يزن: إن كرم مرتبكٌ قليلاً.

العم(يضحك): ما الذي يربكك يا بني؟، إننا عائلة.

نهض كرم مع يزن و عمه لعقد القران، كان يفكرُ، لو لم يحدث ما حدث لكان الآن متزوجاً من زينب و يقيمان في منزلهما الخاص، لكن للقدر رأيٌ آخر و للحياة سلطتها على الجميع.

كانت جنى في غرفتها مع منال و والدتها، ترتدي ثوب الزفاف و تتأملُ الشرخ في وجهها الذي عجزت مساحيق التجميل عن إخفاءه.

انقضت الحفلة كان ذهنُ كرم في مكانٍ آخر لم تلفت نظره جنى و هي ترتدي البدلة البيضاء و تبدو بكامل زينتها،، دخل معها إلى غرفته، بدل ثيابهُ و استلقى على السرير للنوم (اعذريني أنا مُتعب و سأنام).

نظرت إليه باستغراب و هي لا تزال ترتدي بدلة الزفاف: ستنام الآن!!!، ألن نسهر قليلاً.

كرم: أمامنا العمرُ بأكمله ستملين السهر.

بدلت ثيابها و هي تتعاركُ مع الخزانة ، بللت الدموع خديها ثُمَّ استلقت بجواره و استدارت للجهة المعاكسة.

****

مضى ستة أشهر، أصحبت جنى حاملاً ، كانت الرتابة تسيطرُ على علاقتهما، مهما حاولت أن تستثير حبهُ لم تكن تحصلُ على النتيجة المرجوة، كان يعملُ خلال النهار و يعود مع حلول المساء يتناول الطعام ثم يرتدي بدلة رياضية و يذهبُ ليركض في الطرقات الفارغة، كان يتجنبُ الفراغ، يخشى أن تهاجمه الذكريات و يحاصره العجز مجدداً، كلما اشتد هجوم الماضي عليه جرى بسرعةٍ أكبر، توقف للاستراحة، ظهر أمامه عاشقين، بدى أنهما يسرقان من زحمة العمر لقاء، شعر بغصةٍ في قلبه لقد شرب نخب فراقه وجعاً و تزوج، لم يسمع عنها أي شيء كأنها لم تكن، كأنها ملاك قد هرب من السماء ثم عاد إليها.

رفع رأسه إلى السماء، أخذ نفساً عميقاً و هو يتأمل جمال النجوم وسط سواد السماء، هكذا كانت زينب بالنسبة له، النجمة التي تزين سماء أيامه، لا بل كانت هي القمر، عاود الجري عائداً إلى المنزل.

كان يزن يقودُ سيارته التي سلموه إياها في شركة الألبسة التي يعملُ لصالحها كموصلٍ للطلبات، كان متوجهاً للسهر خارجاً حين صادف كرم جالساً على قارعة الطريق بالقرب من المنزل بدى لهُ كما لو أنه يمسحُ دموعه.

نَزَلَ من سيارته و بقي يلحُ عليه حتى أخذهُ ليسهر معهُ، لم يكن كرم قد عفا عنهُ لكن يزن كان دوماً يحاول التقرب منه و كسب وده من جديد.

دخلا إلى مطعم أشبه بالنادي الليلي، كانت المرة الأولى التي يدخلُ فيها كرم إلى مكانٍ كهذا، جلسا فطلب يزن الطعام و العصير و الخمر.

يزن: لم تبدأ السهرة بعد، ستنسى نفسك في هذا المكان.

أخذ كرم يشربُ العصير، كان يرى الفرحة المرتسمة على وجوه السكارى، أمسك بقارورة النبيذ التي أمام يزن و سكب منها و بدأ بالشرب.

كان يزن ينظرُ إليه بنشوة فقد شعر بتأثيره على شقيقه الأصغر، جعله يقوم بتقليده و يشرب على الرغم من أنه لم يشرب من قبل.

توجهت نظرات الحضور إلى الراقصة التي صعدت المنصة، كانت تغطي ببدلة رقصها منطقة الخصر و الصدر و لا يظهرُ من وجهها سوى العينين، عَلَت أصوات الرقص الشرقي و بدأ جسدُ الراقصة بالتناغم معها.

يزن: ارفع نظرك عن كأس العرق و انظر ما أجمل جسدها و رقصها.

كان كرم ينظرُ نحوها و يكاد أن يغفو لكن شيئاً ما جعلهُ يفتحُ عينيه بيقظة و يمعنُ النظر، نهض من مكانه ليتوجه إليها، لم يكن متزناً، أمسك يزن بهِ و هو يضحك: إلى أين أنت ذاهبٌ يا رجُل، الاقتراب ممنوع.

حاول أن يفلت نفسهُ منه بينما هو يتحدثُ بلهفة: أريدُ أن أحدثها، عليَّ التحدث إليها.

يزن: هناك رجالٌ بالقرب منها سيمنعونك من الاقتراب، إنك ثمل، سيلقونك في الخارج.

-إنها زينب، أريدُ أن أذهب إليها.

-كُفَّ عن هذا الهراء، لم يكن علي أن أسمح لك بأن تثمل.

أخذ يزن يشدهُ ليخرجه بالقوة: اتركني، إنهُ نفس الجرح على كليتها، كنتُ أطببهُ بنفسي، دعني.

التفت يزن و نظر إلى الراقصة، ثم أخذ يدفعه نحو الباب، لم يمتلك كرم القوة ليبعد يزن الذي جرهُ رغماً عنهُ إلى الخارج.

فتح كرم عينيه ليجد نفسهُ في سريره التفت حولهُ ليدرك ما حدث ثم نهض بقوة كما لو كان يرى حُلُماً في الحين الذي دخلت فيه إليه جنى و هي تحملُ القهوة ضعتها جانباً و تحدثت بعتب.

-أحمد الله أن والدي ناما عند منال و لم يعودا ليشاهداك و أنت تثمل.

-هل تأخرتُ عن العمل؟.

-مابك اليوم هو الجمعة!.

-أين يزن؟.

-إنه نائمٌ في الصالة.

خرج ليجد يزن نائماً و بجواره طاولة مملوءة بقوارير النبيذ و بقايا السجائر، أيقظهُ، ففتح عينيه مدهوشاً.

-ما الأمر.

-أريد عنوان المكان الذي كنا فيه البارحة.

-أيُ مكان!.

-الذي سهرنا فيه، كان هناك راقصة.

ضحك يزن بصوتٍ مرتفع بينما كانت جنى تختلسُ السمع: مجنونٌ أنت، سهرنا هُنا البارحة و رأينا الراقصة على التلفاز، إنك تهذي.

كان كرم مضطرباً لا يستطيع ترتيب أحداث اليوم الماضي بشكلٍ منطقي: ألم أراك في الشارع و أقنعتني بأن نسهر!.

-بلى، جئنا إلى هُنا و شربت حتى فقدت وعيك.

تدخلت جنى في الحديث و هي مستاءة: لا يكفي بأنك أمضيت الليل تشاهدُ قنوات غير لائقة، ثملت أيضاً و كدت أن تفضحنا بين الجيران و أنت تغني و ترقص، و الآن تستيقظُ و أنت تهذي بالراقصات.

تحدث إلى جنى على انفراد ليعلم تفاصيل ما حدث في الليلة الماضية لكنها كررت ما قاله يزن، أمسك برأسه و هو يتحدثُ إلى نفسه (يا إلهي إنها ليست المرة الأولى، أصبحت عاجزاً عن التمييز بين الأحلام و الحقيقة).

****

لم يعد يلفتني وجودك تساوى في حضورك البقاء مع العدم.

كان يتناول العشاء مع منال، أصبحت كأي امرأة عادية بالنسبة لهُ يركزُ على عيوبها أكثر من محاسنها، أنهى طعامه و تناول قارورة نبيذ من البراد، نظرت إليه و رمَت قطعة الخبز من يدها: ألن تكف عن هذه التصرفات؟ ما هذا الضلال الذي أنت فيه؟ منزلنا أصبح مليئاً بالقذارة و الذنوب.

اقترب منها و همس في أذنها: و أرواحنا؟ آه أرواحنا؟ هل هي طاهرة! أتذكرين أم عليَّ أن أروي لكِ ما حدث.

نهضت من مكانها و اتسعت حدقتا عينيها: لماذا تلقي بذنبك علي، أنت من خططت لكل شيء.

-خططت و لكنها كانت فكرتكِ أنتِ أردت حدوث ذلك أكثر مني لم تتحدثي حينها عن الذنوب، أردت فقط أن تنتقمي منها لأني أحببتها حين افترقنا.

- بل أنت مَن أردت أن تنتقم منها لأنها خائنة، لأنك تريدُ المال، كنت مستعداً للتضحية بأي أحد لتكون معي، أتذكر؟.

استلقى على الأريكة دون أن يجب، أخذ يصبُ النبيذ ويشرب، بعد أن أخذ بثأره من زينب، بعد أن فرغَّ حقدهُ عليها بها، اختلى بذنبه، لم يرغب بأن يكن مُدركاً لما اقترفت يداه، كان يرغبُ لو بوسعه أن يثمل دوماً.

دخلَّ إلى المطعم الذي سهر بهِ مع كرم، نظر إلى الراقصة لم تكن نفسها، تحدث إلى النادل: أريدُ أن أسأل بخصوص راقصة تعملُ هُنا.

-اعتذر سيدي، ليس لدي الصلاحية بأن أدلي بأي معلومات عن العاملات هُنا.

أخرجَّ يزن من جيبه رزمة مال و أعطاها إياه بخفية فأخذها النادل و خبأها بثيابه.

يزن: راقصة شقراء، عيونها ملونة اسمها زينب.

النادل: ليس لدينا راقصة بهذا الاسم.

****

كانت جنى تتأملُ أثر الشرخِ في وجهها، كانت تشعرُ دوماً بالنقص، ليس فقط بسببه بل لأن كرم لم يُشعرها يوماً بأهميتها بالنسبة له، فالمرأة تشعرُ بالثقة حين ترى الحب في عيني مَن تُحب حتى لو كانت أقبح نساء العالم، وضعت يديها حول بطنها و تحدثت إلى الجنين: بالتأكيد سيحبني أكثر حين تأتي، أنا في انتظارك.

كان كرم جالساً في الصالة يراسل عبر هاتفه سيلين صديقة زينب في الماضي، كانت دوماً تسألهُ عن زينب، لم يخبرها الحقيقة كاملة، أخبرها بأن زينب حين قدمت إلى تركيا غادرت منزل عمه لعدم رغبتها في تذكر أي شيء عن الماضي، كانا يتحدثان بين الحين و الآخر يسترجعان اللحظات الجميلة و المواقف الطريفة التي حدثت في فترة الدراسة الثانوية.

خرجت أم جنى من غرفتها وجلست بجواره: جنى ليست بخير، إنها ابنتي و أشعرُ بها.

-ما بها؟.

-إنها تحتاج اهتمامك، العامل النفسي مهم جداً للمرأة خلال حملها، كونك لم تكن تريدُ أطفالاً لا يعني بأن القادم ليس ابنك.

وضع الموبايل جانباً: ماذا علي أن أفعل؟.

أم جنى: خُذها إلى الخارج، تناولا العشاء معاً، أطعمها بيدك.

كرم: حسناً لا تقلقي.

فعل كما طلبت منه والدتها، شبكت جنى أصابعها بين أصابعه، و مشيا باتجاه الطريق الرئيسي و بينما هما ينتظران سيارة أجرة مرّت سيارة يزن فأشارت لهُ جنى لتلقي التحية لكنهُ تابع كأنه لم يرها، كان يبدو مُسرعاً و مندفعاً بشكل كبير نحو ما هو ذاهب إليه.

****

أحدهم مات ولم يفصح، أحدهم دَفَن في قلبه بحار كلمات قبل أن يُدفن، صارح قبل أن تقتلك الحروف.

كان واقفاً أمام الشقة المقيمة فيها، لم يكن يعلم ماذا سيتكلم، وبأي كلمة سيبدأ بطلب الصفح، أراد أن يخبرها بأنه مستعدٌ لأن يتخلى عن أي شيء ليكون معها وأنه مستعدٌ لتحمل العقوبة التي تريد مقابل أن يشعر مجدداً بأن الآلة التي تخفقُ في صدره ستعود لها الحياة من جديد.

بعد أن تخلص من حقده زالت الشوائب و نبع الحب في قلبه صافياً، تلاشت نكهة الحياة حين رحلت و أراد أن يعيدها بعودتها.

ترى ماذا ستفعل**!!!**، كيف ستتعاملُ مع وجوده، كانت الأسئلةُ تأكلُ رأسه، أراد أن يضع حداً لهذه الحيرة فطرق الباب.

خرجت بعد أن أنهت استحمامها، كاد أن يفقد الأمل بوجود أحدٍ حين فتحت الباب، التقت عينيها بعينيه فابتسمت بطريقة عفوية.

****

لشهرٍ كامل لم يعد يرجع إلى المنزل إلا مع حلول الصباح، كان يعود بأفضل حالاته.

كانت منال جالسة في الصالة في منزل شقيقتها أم جنى تبكي وهي تشكو إليها حالها بينما تحاول الثانية مواساتها:

لم يعد بوسعي أن أحتمل، كان يمضي وقته ثملاً لكني كنت أراه، كان يذهبُ كل ليلة خميس و لا يعود حتى حلول الصباح، يذهب مع أصدقاءه للسهر في أماكن مشبوهة مليئة بالراقصات، لقد رأيت محادثتهم حول هذا بعيني لكني تجاهلت مواجهته لم أرد أن أهدم بيتي فأنا أشعرُ أنه من الممكن أن يتخلى عني بكل سهولة، أما الآن لم أعد أراه أبدا، حتى أنه سلب مني العقد الذي اشتراه لي بحجة حاجته للمال، إنه يخونني، يعود مع حلول الصباح يغني و رائحة العطر النسائية عالقة في ثيابه.

كان كرم داخلاً إلى المنزل بينما هي تتكلم، علقت في ذهنه كلماتها (يوم الخميس، راقصات)، تذكر بأنه حين سهر مع يزن كان يوم الخميس، لكن لماذا أخفى عنهُ يزن و جنى بأنهما كانا يسهران خارج المنزل، و لماذا أخطأ حينها بين أحداث الليلة الماضية و الأحداث التي حدثت منذ أسبوع، لم يخطر في باله أن يزن قد أعطاه حبةً مخدرة، كما أنه لم يتذكر أنهُ أخبر يزن بأن الراقصة هي زينب، فقد كان مشوشاً حين استيقظ و لم يتذكر كل شيء.

****

انتظر كرم حلول يوم الخميس استقل سيارة أجرة حتى يتبع يزن و يعلم عنوان المكان الذي سهرا فيه سابقاً، لم يسأله مباشرةً لأنه لم يكن واثقاً بأنه سيخبرهُ الحقيقة.

لكن يزن لم يتوجه إلى أي مكانٍ عام، كان متوجهاً إلى شقة زينب، نزل من سيارتهِ و توجه نحو باب البناء حين التقى بها صدفة قبل دخوله، كان يبدو بأنها كانت تمارس الرياضة، ترتدي ثياباً رياضيةً و بيدها قارورة ماء، كان كرم يراقب ما حدث مدهوشاً و أوصالهُ مُرتعدة.

اقترب منها مبتسماً : لقد أمنتُ المال سنسافرُ إلى ألمانيا.

كانت تنظرُ إليه بحدة، أراد أن يعانقها لكنها أبعدته: لا أريدُ أن أراك.

أمسكها من زندها كأنه يتساءل عن ما جرى لكنها دفعتهُ و تابعت طريقها إلى شقتها.

جلست على الأريكة بقوة و أمامها صحنٌ مليء بالفاكهة، رنَّ جرس الباب لمرات متتالية، توجهت لفتحه، نظرت عبر العين الساحرة لترى كرم أمامها، فتحت الباب و ازداد اشتعال النيران التي تأكلها من الداخل.

كان ينظرُ إليها بعينين حالمتين، لم يرَ منها ردة الفعل التي توقعها بل لم يكن هناك أي ردة فعلٍ مُبشرة، لكن دوماً كان منقاداً لها كأنها تشعُ سحراً تأسرُ به قلبه.

دخلت إلى الداخل فتبعها، لم تكن على عادتها كما يعرفُها، وقف خلفها بينما هي مستديرة: وجدتكِ أخيراً.

التفتت نحوهُ وغرست السكين التي كانت بجوار الفاكهة في بطنه و هي تنظرُ إلى عينيه اللتين امتلأتا بدموع الألم و الخيبة، استندَ على ذراعها قبل أن يسقط: لماذا؟؟.

-لأني أكرهك، لا أريدُ أن أراك سعادتي هي موتك.

سقط على الأرض بينما جلست هي واضعة يديها على رأسها و في ذهنها يدور الحلم الذي يراودها حول مقتل والدها، مشهدُ القتلِ يتكرر كأنهُ يحدثُ مجدداً، سمعت صوتاً يصدرُ أمامها رفعت رأسها لترى طبق البيتزا الذي

أوصت عليه واقعٌ على الأرض بالقرب من الباب الخارجي الذي لا يزال مفتوحاً، كأن أحدهُم قد رأى ما حدث و فرَّ هارباً.

****

فتح عينيه ليجد نفسهُ على سريرٍ في المشفى، لم يكن يصدقُ أن ما حدث كان حقيقياً لكن الألم كان يثبتُ لهُ صحة السكين التي اخترقت أحشائه، تفاقمت خيبتهُ تخيل أنها سترتمي بين ذراعيه وتدفء برد قلبه لكنها حاولت قتله لق ظهر كرهها لهُ في عينيها، الفتاة التي خسر من أجلها كل شيء، تكرهه، تكرهُ رؤيته، ربما أصبحت عدوانية بعد ما عانت، ربما لا ترغبُ برؤية أحدٍ يذكرها بما حدث، إنها تكرهني لأني شقيق يزن، دخلت جنى و هي تشربُ من كأس الماء في يدها نظرت نحوهُ ببؤس، كان العتب واضحاً في نبرة صوتها: الحمد لله على سلامتك.

وضع كف يده على بطنها: كيف حال ابننا.

هي المرة الأولى التي تشعرُ بها بحنانه، بدى لو كان نادماً ويطلبُ العفو بعينيه، أردفت لتسألهُ عما حدث، لكنهُ أجاب قبل أن تسأل: عليكِ نسيانُ ما مضى لا أريدُ التحدث في أي شيء، أعلم بأني لم أمنحك حقوقك و كنتُ في غالب الأوقات فظاً لكن من الآن سيتغير ُكل شيء، سنكون مع ابننا أجمل عائلة، إننا أبناء اللحظة الراهنة.

دخلت الطمأنينة إلى قلبها، شعرت بالفرح و الأمل بمستقبل أفضل، دخل بعض عناصر الشرطة للحديث معهُ فطلب منها البقاء في الخارج، لم يرغب في التحدث لهم عن الأمر، و لم يقبل بتقديم أي ادعاء ضد زينب.

****

إنه فصلُ الصيف كانا في المرحلة الثانوية يمشيان بين أشجار التوت الحمراء، نسمات الهواء اللطيفة تدغدغ الأعماق، صعدت زينب فوق غصن الشجرة وأخذت تتناولُ الثمار الطازجة، هزَّ كرم الغصن من تحتها بينما تتحرك فانزلقت و كادت أن تسقط لولا أن أمسك بها ، نظرت إلى يديها اللتين تلونتا بلون الدماء ثم نظرت إليه فلم يستطع التوقف عن الضحك، مسحت يديها بوجهه ليبدو كما لو أنه ينزف و ركضت، انتشل بعض ثمار التوت و همَّ خلفها ليلوث لها وجهها كما فعلت.

فتحت عينيها ورفعت رأسها، كانت لا تزال متكورة على نفسها، نظرت حولها لتجد نفسها في زنزانة أشبه بالغرفة التي كانت فيها حين تم اختطافها.

التفتت نحو الشرطي الذي قال لها بالتركية: انهضي لديكِ زائر.

خرجت معهُ إلى غرفة مليئة بالقضبان، و خلف القضبان يقفُ يزن متشوقاً للحديث معها، ثبتت أمامهُ منتظرةً ما سيقوله.

-أعلمُ بأنك غاضبة لأنني أخفيتُ عنكِ زواجي، أثناء فترة اختفاءك كان عليَّ أن أتزوجها فأنتِ قمتِ بتشويهها وأجبرتُ على هذا لأجل عمي، لماذا فعلتِ هذا بكرم، كان عليكِ أن تتركيه، سيعاقبهُ الله على أي حال.

ابتسمت بخيبة وقالت بصوتٍ خائب: ستستغلني في كلِّ مرة إن فقدتُ الذاكرة ستستغلني، إن متَّ وخلقت من جديد ستستغلني، أنت مبرمجٌ على قتلني.

بدى الخوف يجتاح ملامحهُ فأكملت: كنتُ أركضُ خائفة، يداي ملوثتان بالدماء و عنقي تلون بالأزرق كما لو أن أحداً أراد أن يقطعه بأصابعه، على جسدي جروح لم تلتئم بعد و آثار كدماتٍ لا زالت تؤلمني، هكذا وجدتُ نفسي بعد أن استعدتُ الوعي و هذا ما قاله لي الرجلُ الذي صدمني بسيارته، بدى لهُ أني كنتُ أهربُ من حدثٍ مُريع لذا لم يأخذني للمشفى عالجني في منزله، لذا لم أبحث عن الماضي، لكن الماضي من بحث عني، وجدتني، جعلتنا نعيشُ قصة حبٍ بعد أن شوّهت في عيني جميع الحقائق، أخبرتني أننا كُنا متزوجان، حتى الكوابيس التي كانت تراودني قمت بتسخيرها لتثبت ما ادعيت، لقد تذكرتُ كل شيء بفضل الزنزانة المنفردة و الوحدة أثناء الليالي الظلماء ، إنها تشبهُ المكان الذي وضعوني

فيه رجالُك ، جعلتني أحبك من جديد ثم خذلتني، كم مرة ستخذلني في الحياة الواحدة!!.

استدارت لتعود مع الشرطي إلى الزنزانة بينما بقي واقفاً في مكانه عاجزاً عن تبرير أي شيء، لم تعد دموعها سخيةً كالسابق فقد اعتادت الألم و فقدت الدموع جدواها.

****

خرج كرم برفقة جنى وعادا إلى المنزل، أصبح يملكُ قناعة تامة بأنها ستبقى شريكة حياته، آمن بأن زينب ليست ملكه، لم تكن كذلك منذُ البداية، آمن بأن وأد الحب أحياناً أفضلُ من إحياءه، تفاجئا بوجه منال التي فتحت لهما الباب و آثار التعنيف واضحة على وجهها.

جنى: ما الأمر!، ماذا حدث لوجهك؟

منال(بحزن): لقد ضربني لأني أجبت على هاتفه في غيابه وأخبرتُ حبيبتهُ بأنهُ متزوج.

أدخلت جنى كرم إلى غرفتهما للاستراحة ثم توجهت لأخذ حمام ساخن، مسحت منال دموعها وتوجهت لفتح الباب ظناً منها أن والدا جنى وصلا بعد أن أحضرا الوجبات الجاهزة لأجل الغداء، فتحت الباب لتجد أمامها وجهاً ليس بغريب عنها، استغرقت ثوانٍ حتى استوعب بأنها زينب.

زينب: أريدُ التحدث مع كرم.

منال(بغضب): كم أنتِ وقحة!!!، شوهتِ وجه الفتاة المسكينة و تريدين الآن الحديث مع زوجها، تريدين هدم عائلتها، كرم الآن لديه زوجة و طفلٌ قادمٌ بعد بضعة أشهر، اذهبي من هُنا و إلا أحضرتُ لكِ الشرطة.

تداركت زينب صدمتها، كانت على ثقة عمياء بأن كرم لن يُحب سواها أو يتزوج من غيرها مهما حدث، انسحبت لتعود أدراجها حين خرجت جنى للحديث مع منال: من هذه؟.

تمعنت النظر نحوها و هي ذاهبة، عضت على شفتيها: إنها هي؟، تلك العاهرة، ما الذي جاء بها الآن! كان عليكِ أن تجعليها تدخل لأشق وجهها إلى نصفين.

كان كرم مستلقياً لا يعلمُ شيئاً عما يحدثُ في الخارج أمسك هاتفه و قام بحظر سيلين من جميع تطبيقات التواصل الاجتماعي لم يرغب بأي شيء يذكرهُ بالماضي، أراد أن يعيش أيامهُ بتفاصيلها فقد شعر بأنه يمتلك حياةً جديدة بعد أن نجى من الموت.

****

كانت مستلقية على الأريكة تفكرُ كيف ستدفعُ أجار الشقة لهذا الشهر بعد أن تم رفض طلبها بالعودة للعمل كراقصة، فقد تركت العمل بناءً على طلب يزن في السابق، قررت أن تذهب للسكن في منزل(ساركان) ريثما تجدُ عملاً آخر، هو الرجل التركي الذي صدمها بسيارته، رجلٌ عجوزٌ عبوس لكنه طيب ولا تظنهُ سيرفضُ طلبها بالإقامة عندهُ ريثما تتدبرُ أمرها.

طُرق الباب، نظرت عبر العين الساحرة لكنها لم تجد أحد، فتحته ليلفت نظرها ظرفٌ متروكٌ في الأرض أخذتهُ و أغلقت الباب، وجدت بداخله قرص إلكتروني توجهت إلى الكمبيوتر و وضعتهُ لتشاهد المحتوى لكن بمجرد رؤيتها لوجه يزن يظهرُ في بداية مقطع الفيديو قامت بإغلاق الحاسوب فوراً و أعصابها ترتجف.

كانت منال جالسةً مع شقيقتها و زوجها في منزلهما بالإضافة لكرم و جنى، كانت تبكي و تضربُ على وجهها، تصرخُ بينما يحاول الجميع تهدئتها، باستثناء كرم الذي لا يمكنُ لهُ أن يراها إلا كحيوانٍ مفترس.

منال(تبكي): لقد ذهب إليها، ذهب إليها، لم يتواصل معي أو يأتي منذُ أسبوعين، لم يذهب حتى إلى العمل، حاولت الاتصال بتلك اللعينة التي يخونني معها، كنتُ قد دونت رقمها، اتصلت بها لكن هاتفها خارج نطاق

التغطية، أتى بي إلى تركيا، أسكنني في منزلٍ أشبه بالقبر وذهب ليعيش لحظاته الجميلة مع امرأة أخرى، لعنهُ الله، لعنهُ الله.

****

أخذت زينب ترتبُ ثيابها داخل الحقيبة، كان يجب عليها المغادرة في اليوم التالي، وجدت في خزانتها معطفاً ليزن أمسكتهُ بعنف، حاولت تمزيقهُ و بعد أن عجزت ألقتهُ على الأرض، تذكرت مقطع الفيديو الذي لم تشاهده، فهي لن تتمكن من مشاهدته في منزل السيد ساركان لعدم وجود حاسوب، تمالكت نفسها، جلست على الكرسي و شغَلَت الفيديو.

ظهر وجه يزن يائساً، المنطقة حول عينيه أشبهُ برماد السجائر، شعرهُ أشعثٌ، بدأ بالحديث.

-أرجوكِ اسمعيني، أعلمُ بأني لا أستحق، هي المرة الأخيرة التي سأتحدثُ فيها إليكِ، إني تائهٌ في بحر من الكلمات لا أعلمُ من أين سأبدأ و لا أين سأنتهي، أنا سيئٌ بما فيه الكفاية، أسوأ مما تخيلت، طلبتُ منكِ الإخلاص في الوقت الذي لم أكن فيه مُخلصاً، أردتكِ أن تكوني لي حتى لو لم أكن لكِ، كنتُ خائناً، حين انفصلت منال عن خطيبها حاولتْ مراراً و تكراراً أن تعيد علاقتها بي كنتُ أؤمن بمقولة أن الحب الأول لا يُنسى صارحتها بأني على علاقة بفتاة أخرى، أخبرتها أنها علاقةٌ عابرة، عُدنا كالسابق، اتفقنا أن أنهي علاقتي بكِ عندما يحينُ الظرف المناسب، لم أكن متأكداً من أني سأفعلُ هذا لكني كنتُ موافقاً، حين رجعتُ إلى المنزل في ذلك اليوم و رأيتك نائمة بقرب كرم جُنَّ جُنوني، نعم جُنَّ جنوني، صحيح أني كنت أنوي التفريط بك لكنكِ ملكي، لم أفكر حينها إلا بأنكِ قمتِ بخيانتي، أصبحتُ حاقداً عليكِ، أخبرتها بما حدث فأخذت تقنعني بالإبقاء على علاقتي بكِ والاستفادة منك، كما أني لم أنوي إنهاء ما بيننا بهذه السهولة، كان لدي رغبةٌ في الانتقام، أخذت تستغلُ رغبتي و تقنعني بأن أسلمكِ لهم و نستدرج والدكِ فحينها آخذُ بثأري و نأخذ مبلغاً كبيراً من المال كي نتزوج، كنتُ متردداً في البداية لكنني فعلتها بالفعل . لأني لم أعد أصدقك بأي شيء على الرغم من أنكِ تخليتِ عن هدية والدكِ حينها لأجلي، لم أصدق، لم أكن أشعرُ إلا

بأنكِ فتاة خائنة، تظاهرت بأني قويٌ لكن حين أخذوكِ من السيارة شعرتُ بصاعقة في قلبي فكرت بالانسحاب لكن الأمر لم يعد ممكناً خرج الموضوع من نطاق سيطرتي، فقررت أن أمضي في الأمر قُدماً، لكن بعد أن حدث ما حدث لم أعد أتمكن من النوم كنتُ أسمع صوت صراخك في أذني كلما أغمضتُ عيني أراهُم ينزلونكِ من السيارة بقوة بينما تستنجدين بي، بعد أن أخبرني كرم بما حدث في ذلك اليوم و أنكِ ثملتِ في المساء لأنك شربتِ من قوارير المشروب الخاصة بي و بالفعل كانت ناقصة حين عدتُ للمنزل ، بدأ الذنب يقتلني، يلتهمني الذنب، حين رأيتك لأول مرة في تركيا، حين رأيت نظرات الفزع مني في عينيكِ، شعرتُ برغبةٍ في البكاء، كنت مشتاقاً لنظرات الفرح، للبسمة التي كانت تُنبِضُ أيامي بالحياة كنتِ أضعف من أن تأخذي بالثأر مني فأخذتُ أثأرُ من نفسي، أخذتُ أتآكل، عليك أن تعلمي بأني ضحيتُ بنفسي قبل أن أضحي بكِ فأنا لم أعد أنا، لما أخبرتني بأنكِ فقدتِ الذاكرة عاد الأملُ إلى قلبي، رغبتُ أن أبقى بقربكِ إلى الأبد لذا كذبت لذا أخبرتكِ بأنا كنا متزوجان لكني لم أنوي استغلالك كنتُ أحضّرُ لنسافر معاً إلى أوروبا لنترك كل ما حدث خلفنا و نمضي، كنتُ سأطلبُ منكِ أن نعيد مراسم الزفاف لنتزوج بشكل فعلي، رغبتُ أن نهرم معاً، أن تنجبي لي الكثير من الأطفال.

أنا كالصياد الذي كلما حاولت عصفورتهُ التي يحبها الطيران أطلق نيرانهُ عليها ليخرق جناحها وتسقط، الجميعُ يكرهني الآن، أنتِ و كرم و منال حتى نفسي تكرهني، إن وجودي في هذه الحياة كان خطأً عليَّ تقويمه، كوني بخير يا عصفورتي، لن أقوم بإيذائك مجدداً.

وجّه الكاميرا انحو الجرف الموجود خلفه و ألقى بنفسهِ إلى الأسفل، وضعت زينب يدها على فمها و سالت الدموع من عينيها، كانت تسمع صوت ضربات قلبها في أذنيها، ندمت لأنها لم ترَ الفيديو فور استلامه، كان عليها أن تخبر كرم بما حدث، ماذا لو لم يتعرف أحدٌ إلى هويته في المكان الذي ألقى فيه بنفسه، خرجت مسرعة كان المطرُ غزيراً و نسمات الهواء تلسعُ الجلد من برودتها، استقلت سيارة أجرة و حين وصلت إلى بداية الحي رأت مجلس العزاء

المقام أمام المنزل، نظرت إلى كرم الواقف لاستقبال التعازي، كان شاحباً كجسدٍ لا طاقة لهُ بأن يحيى، شدّت أطراف معطفها إلى صدرها كأنها تضمُ نفسها و طلبت من السائق التراجع.

****

دخلَ كرم إلى المنزل، سمع منال تصرُخ و تبكي في إحدى الغرف و بجوارها أم جنى تُهدئها : لقد انتحر، انتحر لأني أخبرتُ تلك الفتاة بأنهُ متزوج، إلى الجحيم، إلى جهنم فالتأكل النيران روحك النتنة، لقد ترك الحياة لأجل امرأة، لأجل ساقطة.

فتح باب الغرفة، توجه نحو منال رمقها بنظرات غاضبة: ترحمي عليه أو اصمتي.
لم تتوقف عن تكرار ما تقول فصفعها، تهجمت عليه لتضربهُ بينما أخذت أم جنى تباعد بينهما، دخلت جنى مصدومة بما يحدث كانت قد استعدت للذهاب معهُ إلى الطبيب بغية الاطمئنان إلى حال الجنين.
دخلا العيادة، قام الطبيب بإجراء الفحوصات اللازمة، كان كرم يجلسُ و هو يهزُ قدمهُ من التوتر آملاً أن يكون كل شيء بخير، تحدث الطبيبُ أخيراً:
للأسف الجنين كان مشوهاً، إنهُ ميّت علينا إجهاضهُ.
انهارت جنى بينما ضمها كرم كي تهدأ، شعر كأن كل شيء على هذه الأرض متآمرٌ على راحته.
كانت جنى في غرفتها لا تكلُ عن ذرف الدموع، كانت تظنُ أن حملها هو سبب التحول الواضح في علاقتها مع كرم، كانا ينتظران بشوق طفلهما القادم، كانت تتعاملُ مع الأمر كما لو أنهُ نهايةُ العالم.

جلس كرم للحديث مع عمه في الصالة، كان مرتبكاً، خشي على عمه من الصدمة القادمة، ثم أطلق كلماته: ظهرت نتائج التحاليل أنا و جنى غير قادرين على إنجاب أطفال سليمين، الأجنة دوماً ستكون مشوهة، لأننا أبناء عم، أي أن كل منا مع شخص آخر سينجب طفلاً سليماً لكن سوياً لا يمكن ،هذا ما أكدهُ لي الطبيب.

العم(نكّس رأسه): يا إلهي ما هذه المصائب التي انهارت فوق رؤوسنا، ماذا ستفعلان؟.

أخرج كرم من جيبه رزمة مال من فئة الدولار و وضعها أمام عمه:
رأيتها كم هي متشوقة لتكون أماً، و أنا ربما أرغبُ في المستقبل أن أبني عائلة، لذا هذا المال كنتُ أعملُ على جمعه لأجل عمليات التجميل اللازمة لمعالجة وجهها، ستجري العمليات و يعود وجهها تقريبا لطبيعته، هذا الحلُ الذي أراه مناسباً و إن كان من الممكن أن يزعجك فسوف أتراجع عنهُ على الفور، أنت لست عمي فقط أنت والدي.

اقترب عمهُ منهُ بحزن و قبَّل جبينه: بارك الله بك يا بني، لكني أريد أن نؤجل الأمر قليلاً حتى تتحسن حالتها النفسية.

*****

كانت زينب قد أصبحت أكثر قرب من الله، فبعد ما حدث مع يزن شعرت بشيء من العدالة الإلهية، إن مأساتها قد بدأت بمعصية لو لم تثمل لما حدث ما حدث، و على الرغم من خطئها حينها لم تحاول التقرب من الله بعد أن أرسل لها علي و كرم ليخلصاها من مصير أسوأ كان من الممكن أن تذهب إليه، بل أصبحت تهملُ معايير الحلال و الحرام لتثبت لنفسها أنها أقوى من ما حدث معها، كان السيد ساركان قد اعتاد على وجودها، يوقظها عند كل صباح كي يصليا صلاة الصبح، أصبحت تغطي شعرها و تحتشمُ في ثيابها، شعرت برضا لم تشعر بهِ من قبل، آمنت ان ما حدث و ما سيحدث هو بأمرٍ من الخالق لا يجبُ الاعتراض عليه أو التذمر، كانت تدعو لعائلتها بالرحمة و بجنان الخلد، حتى يزن سامحته، كانت تدعو لهُ في صلاتها بالمغفرة و الراحة في قبره، لم تعد ترى كوابيساً أو أحلاماً مزعجة، سلامٌ داخلي كان يجري بين ثناياها كأنها لم تذق ألماً، كانت يومياً تحضرُ قوالب حلوى الكرز التي كانت والدتها دوماً تعدها لهم في السابق و كان ساركان يبيعها في متجر الحلويات الخاص به، لاقت هذه الحلوى إقبالاً كبيراً من الزبائن فكانت كل الكمية التي تعدها تنفذُ في نفس اليوم، على الرغم من أنه عمل متواضع لكنها كانت تشعرُ بأنها تحقق نجاحاً عظيماً فحين يطلبُ منها ساركان زيادة الكمية كانت تفرح فهذه القوالب المعمولة على طريقة والدتها كانت تدخلُ إلى بيوت الكثير من العائلات التركية ليتناولوها في مختلف احتفالاتهم و نشاطاتهم.

****

لا تهجر قلبك فيتصلب ولا عقلك فيجف ولا ضميرك فيغفو فالبشر أحق بالهجران من أن تهجر نفسك.

كان كرم يعملُ في المطعم و قد أصبح مشرفاً على النادلين، نظر إلى هاتفه الذي يرنُ في جيبه ليجد أن سيلين تتصلُ بهِ للمرة العاشرة مكالمة دولية، لم يرغب في الإجابة، خشي أن تسأله عن سبب حظره لها على جميع برامج التواصل، لكنهُ أخيراً أجاب لكثرة اتصالاتها، بعد التحية سمع الخبر الذي رسم على ملامحه الكثير من الأسئلة، تغير صوتهُ: متأكدة!!!، سيلين هل أنتِ متأكدة!!!.

كان عليه أن يجد زينب بأي طريقة، ترك عملهُ و توجه إلى الشقة التي كانت تقيمُ فيها، لم يهمه أن تقتلهُ في هذه المرة كل ما فكر بهِ أن عليه إخبارها بالأمر.

حلَّ الصباح كانت زينب قد استيقظت منذ الفجر كعادتها أدت صلاتها و حضرت قوالب الحلوى، غادر ساركان إلى عمله بينما خرجت إلى الحديقة و هي تحملُ فنجان القهوة جلست على الأرجوحة تتأمل جمال أشجار الثمار المختلفة التي زادها الربيعُ خضرةً و تنصتُ إلى صوت العصافير التي تعزفُ سيمفونية الطبيعة، طُرِقَ الباب الخارجي، وضعت الفنجان على الطاولة التي أمامها و توجهت لفتحه، كانت ترتدي ثوباً طويلاً وردي اللون و تغطي شعرها بوشاحٍ أبيض.

كان كرم واقفاً خلف الباب يعاني من جديد في سبيل إيجادها، كان قد تواصل مع صاحب الشقة التي كانت تسكن فيها و أخبرهُ أن عقد الإيجار كان باسم السيد ساركان، و الآن هو أمام بابه يرغبُ في رؤيته لعله يعلم الطريق إليها، لم يتوقع أن تفتح لهُ الباب، لكنهُ لم يعرفها، في الثواني الأولى همَّ ليسألها عن السيد ساركان لكن ابتسامتها قاطعته، إنها هي!!، الفتاة التي طالما أحبها، بدت الدهشة على وجهه و بعد صمتٍ مُخيم، تحدث بعد أن نسي ما كان قادماً لأجله: تبدين في غاية الجمال.

زينب: علمت الحقيقة إذاً؟.

كرم: أيُ حقيقة!!!.

زينب(خجلة من نفسها): السبب الذي جعلني أطعنك.

كرم: لا.

زينب: إذاً لماذا جئت، ألم تخشى أن أفعل ما فعلتهُ مجدداً؟.

كرم: يا إلهي نسيتُ نفسي، جئت لأخبركِ بأن شقيقك سليمان حي، كان مع مجموعة من الأسرى و تم تحريرهم منذ أيام.

وضعت كف يدها على قلبها، و تسارعت أنفاسها، بعد أن أكد لها ما سمعت سالت دموع الفرح و هي تحمدُ الله، دخلَّ معها إلى الداخل، جلست تفكرُ في نفسها كيف ستأتي بهِ إلى هُنا بينما لم يستطع كرم أن يزيح عينيه عنها، وضع يدهُ على ذراعها ليطمئنها: لا تقلقي سأعملُ جاهداً على إيجاد طريقةٍ لأجمعكما سوياً.

دخل ساركان حانياً عبوساً كعادتهِ يشبكُ يديه خلف ظهرهِ، كان قد عاد بعد أن نسي مفتاح المتجر، عرفتهُ زينب عن هوية الضيف المجهول، تساءل عن حال زينب التي لم تكن عن طبيعتها، فأخذت تحكي لهُ ما حدث، قال لها بثقة: لا تخافي يا ابنتي، لدي صديقٌ مقرب في اللجنة الدولية للصليب الأحمر، سيساعدكِ بالطبع، هيّا بنا لا يجب أن نضيع الوقت.

****

بعد الكثير من الإجراءات و المراسلات بين فرعي المنظمة في سوريا و تركيا لتأكيد هوية زينب و صحة ما تدعيه، نطق صديق ساركان بالخبر السار: بضعةُ أيام و سيكون الطفلُ هُنا.

كانت ممتنة لجميع من حولها، غادرت مع كرم مقر المنظمة بينما كان ساركان في عمله، جلسا في إحدى الحدائق، شعرت بأن الحياة جميلة، جميلة جداً، نظرت إلى كرم بعنفوان: الآن أستطيع الحديث عن ما مضى، ألا ترغب في معرفة ما حدث؟.

-تباً لكلِ شيء، أريدُ أن نتزوج، أريدكِ أن تبقي معي، حتى لو قصدتِ حينها قتلي لم يعد يهمني الأمر.

-لكنك متزوج!.

-انفصلنا، تزوجتها لأن الجميع حملني مسؤولية تشوه وجهها لم يكن لدي خيار آخر، في تلك الليلة كان سيأتي الشيخ ليعقد قراننا ليتكِ تحكمتِ بردة فعلك و لم تفعلي بها هذا، لارتحنا من هذا العناء.

-كنت نائمة أرادت خنقي لفت أصابعها حول عنقي، كدت أن أموت لولا أني استطعت الإمساك بالمقص و طعنتها لتبتعد عني.

صمت لدقائق، أيعقلُ أن جنى خدعتهُ كل هذا الوقت، دوماً كانت تدّعي البراءة و بأنها ضحيتهُ هو و زينب، بدأت الأفكار تهاجمه و أخذ الصداع يغزو طيات دماغه، لكن لماذا أرادت زينب قتلهُ على الرغم من أنه لم يؤذها، و قبل أن يسأل، بدأت تروي لهُ ما حدث منذ غادرت منزل عمه.

****

دخلت زينب إلى مقر المنظمة بلهفة برفقة كل من ساركان و كرم، كان سليمان جالساً ينتظرها و بجواره أحدُ الموظفين، أخذت تعانقه و تطبعُ على وجهه القبلات كانت ملامحهُ توضحُ بأنه لم يتعرف عليها، نظرت إلى عينيه مباشرةً: سليمان أنا زينب شقيقتك، ألا تذكرُ يا حبيبي، كُنا دوماً نلعب الغميضة، كنت ترتدي رداء الذئب و تبدأ بالبحث عني لتأكلني، ألا تذكر.

بقي ينظرُ إليها شارداً، ثم ابتسم و هزَّ رأسه: نعم أذكر.

ضمتهُ إلى صدرها بقوة بينما بدأ بالبكاء وهو يلفُ يديه الصغيرتين حول عنقها كان سعيداً لأنهُ وجد أحداً يحبهُ و يحنُ عليه من جديد، أخذوه معهم كان أعرجاً عاجزاً عن المشي بطريقة صحيحة بسبب ما حلَّ بهِ، حملهُ كرم نحو سيارة ساركان و توجهوا إلى منزله.

علم ساركان بنية كرم و زينب بالزواج، لم يرغب في أن تنتقل زينب من منزله، على الرغم من غرابة أطباعه و العصبية التي دوماً تظهرُ على وجهه إلا أنهُ ممتلئٌ بالطيبة، اعتاد عليها في الفترة الماضية و بدأ يشعرُ كأنها ابنته، طلب منها الزواج و العيش معه فمنزلهُ كبير و حديقته واسعة يمكن لسليمان اللعب فيها، كما أن جميع أبناءه يقيمون خارج البلاد، بالإضافة لأن زينب كانت تساعدهُ في عمله و قد جعلت الزبائن أكثر إقبالاً على متجره، بعد إصراره على عرضه هذا تمت الموافقة، اكتشفت زينب أن أقصر طريقٍ للراحة هو طريقُ الله، أقام كرم لها حفل زفاف متواضع، كان يرى في عينيها الحياة و في ضحكتها الراحة.

* احكم نفسك لا تدعها تحكمك فتأخذ بيدك نحو الهلاك*

أتمنى مِن كل مَن قرأ الجزء الأول و الثاني أن يقوم بكتابة ملخص عنهما و نشره مع كتابة " #شيطان من طين " لأتمكن من الاطلاع على رأيكم.